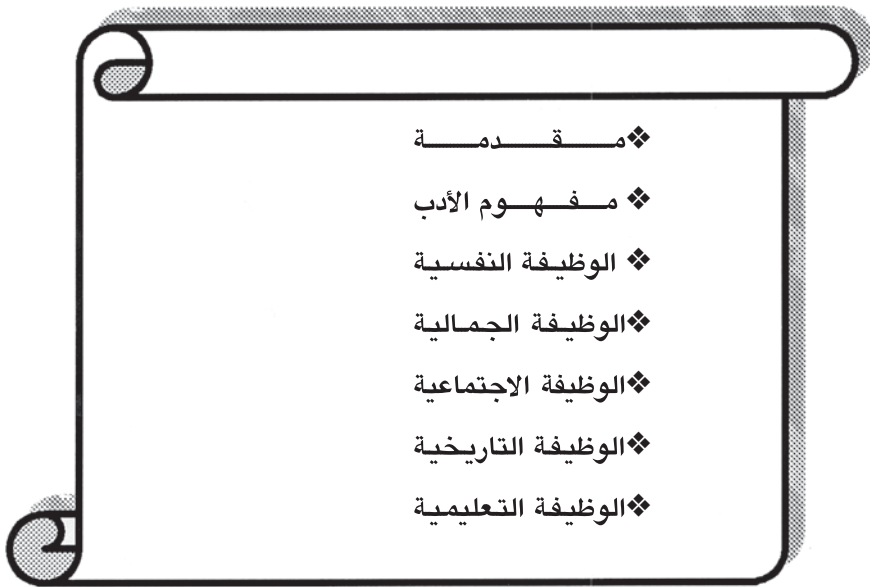


# الفصل الأول

## مفهوم الأدب ووظائفه



## الأدب: مفهومه ووظائفه

### مقدمة :

الأدب من الفنون الجميلة ، أدواته الكلمة ، وهو يشترك مع غيره من الفنون في العديد من الخصائص والسمات ، ويفترق عنها في سمات أخرى ، فالفنون الجميلة جميعها تهدف إلى إحداث المتعة ، والتأثير في نفس المتلقي ، والأدب بوصفه فناً من هذه الفنون يتفق معها في هذه الغاية، ولكنه يختلف مع بقية الفنون في أن أدواته هي الكلمة ، والكلمات في مجال الأدب تحمل دلالات متعددة ، وحالات متباينة لدى كل متلقٍ لهذا العمل أو ذاك ، فالنص الأدبي في جوهره عبارة عن مجموعة من الكلمات التي ترص وتصف بطريقة خاصة ، بحيث يعبر المبدع من خلالها عن حالة من حالته الشعورية ، أو يعبر عن حالته النفسية .

إن الكلمات في العمل الأدبي أشبه ما تكون بضوء سراج يخرج منه ، ويظل يتسلل هذا الضوء حتى يصل إلى نفس القارئ ، فيفعل في نفسه الأفاعيل التي قد تتقارب ، أو تتباعد مع ما عبر عنه الأديب هذا من ناحية ، وقد تتفق أو تختلف الظلال الفنية لهذه الكلمات من قارئ إلى قارئ آخر ، ولذلك فالكلمات باعتبارها مادة الأدب وفق هذا المنحي تحمل دلالتين هما : دلالة مباشرة ، وهي الدلالة المعجمية للكلمة كما اصطلح عليها أهل اللغة ، ودلالة غير مباشرة ، وهي المعنى الشعوري أو الإيحائي الذي تثيره في نفس المتلقي ، ولهذا فإن الأدب وفق هذه النظرة يختلف عن بقية الفنون الأخرى ، فالنغمة في الموسيقى، والخط واللون في الرسم ، والحركة في الرقص تعبر عن حالة واحدة لا تتشعب ، بخلاف الكلمات التي ربما يعبر كل صوت منها ، وكل حرف من الممكن أن يوجد شعوراً لدى المتلقي يختلف عن الآخر، ولهذا فإنه ينبغي علينا بداية أن نعرج لتعريف هذا الفن توطئة لفهمه فهماً جيداً.

### أولاً : مفهوم الأدب :

تطورت كلمة الأدب شأنها في ذلك شأن الكائن الحي بتطور الأمة، حيث انتقل معني هذه الكلمة من المعنى المادي وهو الدعوة إلى الطعام إلى معني معنوي وهو التهذيب ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، حتى استقرت الكلمة على مدلولها الحالي ، وهو الكلام البليغ المؤثر في نفس السامع ، أو القارئ ، ولقد أكد ذلك (ابن منظور المصري ، د.ت ، 206-207) بقوله إن الأدب مصدر قولك أدب القوم يادبهم بالكسر أدباً إذا دعاهم إلى طعامه ، والأدبُ الداعي إلى الطعام ، قال طرفة بن العبد :

نحن في المشناة ندعو الجفلى      لا ترى الأدب فينا ينتقر

## مفهوم الأدب ووظائفه

والمأدبة التي يصنع لها هذا الصنيع، وفي حديث على بن أبي طالب - كرم الله وجهه - "أما إخواننا بنو أمية فقتادةٌ أدبةٌ والأدبة جمع أدب، مثل كتبة، وكاتب، وهو الذي يدعو الناس إلى المأدبة، وهو الطعام الذي يصنعه الرجل، ويدعو إليه الناس، وفي حديث كعب - رضي الله عنه - "إن مأدبة من لحوم الروم بمروج عكاء" أراد أنهم يقتلون بها فتنتابهم السباع والطيور، وتآكل من لحومهم . فالمعنى السابق هو المعنى الحسي أو المادي للكلمة وهو الدعوة إلى الطعام، ثم تطورت الكلمة من مدلول الدعوة إلى الطعام إلى معني معنوي، تمثل في التحلي بمكارم الأخلاق، والاتصاف بالخلال الحميدة، والبعد عن المقابح، ولذلك فقد ذُكر أن الأدب الذي يتأدب به الأديب من الناس، سمي أدباً لأنه يأدب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح، والأدب الظرف، وحسن التناول، وأدب بالضم فهو أديب من قوم أدباء، والذي يؤكد هذا المعنى قول النبي ﷺ "أدبني ربي فأحسن تأديبي".

ونجد أن مدلول الكلمة في عصر بني أمية قد عبر عن هذا المعنى التهذيبي، إضافة إلى معني آخر وهو المعنى التعليمي، حيث أطلق على طائفة من المعلمين اسم المؤدبين، وهم الذين يعلمون أبناء الخلفاء والأمراء أصول الثقافة العربية الرفيعة من شعر، وحكم، وخطب، ونوادر، علاوة على تعليمهم الأنساب العربية، وأيام العرب في الجاهلية والإسلام، ولقد اتسع مدلول هذه الكلمة في القرن الثالث الهجري، حيث أطلقت على كل ما أنتجته القريحة الإنسانية، ولا سيما ما ترجم إلى العربية من علوم وفنون، ثم ضيق العلماء مدلول كلمة الأدب حتى قصرها على علوم اللغة العربية، حيث عنوا بثمانية علوم هي: النحو، واللغة، والتصريف، والعروض، والقوافي، وصنعة الشعر، وأخبار العرب، وأنسابهم .

ولقد تطور هذا المفهوم حتى أصبح علماً على هذا الفن، حيث يقول (ابن خلدون، 1984، 553): هذا العلم لا موضوع له ينظر في إثبات عوارضه أو نفيها، وإنما المقصود به عند أهل اللسان ثمرته، وهي الإجابة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم، فيجمعون لذلك من الكلام ما عساه تحصل به الكلمة من شعر عالي الطبقة، وسجع متساوٍ في الإجابة، ومسائل من اللغة والنحو مبنوثة في أثناء ذلك، متفرقة يستقري منها الناظر في الغالب معظم قوانين العرب .

أما (طه حسين وآخرون، 1981، 5) فقد أشار إلى أن للأدب نوعين: الأدب بمعناه الخاص، والأدب بمعناه العام، ولكل منهما معني يختلف تماماً عن الآخر فيقول: بأن لكلمة الأدب معنيين مختلفين: أحدهما الأدب بمعناه الخاص، وهو الكلام الجيد الذي يحدث في نفس قارئه وسامعه لذة فنية سواءً أكان هذا الكلام شعراً أم نثراً، والثاني الأدب بمعناه العام، وهو الإنتاج العقلي

## الفصل الأول

الذي يصور في الكلام ويكتب في الكتب، فالقصيدة الرائعة ، والمقالة البارعة ، والخطبة المؤثرة، والقصة الممتازة، كل هذا أدب بالمعنى الخاص ؛ لأنك تقرؤه أو تسمعه فتجد فيه لذة كاللذة التي تجدها حين تسمع غناء المغني، وتوقع الموسيقى، وحين ترى الصورة الجميلة، والتمثال البديع، فهو إذن يتصل بذوقك وحسك وشعورك ، ويمس ملكة تقدير الجمال في نفسك، والكتاب في النحو أو في الطبيعة أو في الرياضة أدب بالمعنى العام؛ لأنه كلام يصور ما أنتجه العقل الإنساني من أنواع المعرفة، سواء أحدث في نفسك في أثناء قراءته أو سماعه هذه اللذة الفنية أم لم يحدثها.

فالأدب تشكيل لغوي يمثل التعبير الأسمى والأجمل عن فكر الأمة، وحياتها، وطموحاتها، وقيمها، وهو تعبير من إنشاء العقل والخيال معاً، على يد أفراد تجلت فيهم، وتوهجت في أعماقهم ملامح أمتهم وخصوصيتها (محمد راتب الحلاق ، 1999، 23) .

كما أن الأدب تجربة إنسانية يرصدها الأديب بوساطة اللغة بأبعاد محددة ، وبشكل وأسلوب فنيين معينين ، يؤديان وظيفة التعبير عن القضايا البشرية الخاصة والعامة ، والعمل الأدبي بطبيعته إبداع جديد لواقع قائم ، أو يمكن أن يقع بأبعاد وجدانية جديدة ، يصور هذا الواقع الملموس أو المحتمل وقوعه ، وذلك بإبداع جمالي فني ، وبأسلوب مبتكر ، وعناصر جمالية مؤثرة (مريم البغدادي ، 1982، 13) .

أما كلمة الأدب في اللغة الإنجليزية فهي Literature، وهي مشتقة من الأصل اللاتيني Lite-ra بمعنى حرف ، ومن ثم فهي توحى بالاقتصار على الأدب المكتوب أو المطبوع ، أي أن المفهوم المتسق لهذا اللفظ ينبغي أن يشمل أيضاً الأدب المنطوق ، ومن هذه الناحية فإن الكلمة الألمانية Wortkunst، والكلمة الروسية Sloevesnost تتفوقان على نظريتهما الإنجليزية (رينيه ويلك ، وأستن وارين، 1991، 34) .

ولقد عرفت دائرة المعارف البريطانية الجديدة (The New Encyclopedia Britannica, 1994,398) بأنه عمل مكتوب ، فاسم الأدب يطلق على الأعمال التخيلية من الشعر والنثر في أغلب الأحيان ، التي تتميز بسمات كاتبها ، وبراعتهم الأدبية ، ويمكن تصنيف الأدب وفقاً لأنماط متعددة منها : اللغة المستخدمة ، والمنطقة الإقليمية (البيئة) ، والحقبة التاريخية ، ونوع الأدب نفسه (شعر أو نثر) ، والموضوع أو الغرض .

وعرفه قاموس أكسفورد (The Oxford English Dictionary, 1970,342) بأنه منتجات أدبية بصفة عامة، وهو عمل مكتوب يقدم في بلاد معينة ، وفي حقبة معينة من العالم ، وعموماً فإن الأدب إحساس مقيد يطبق كتابة ، ويهتم بجمال الشكل والتأثير العاطفي في المتلقي .

## مفهوم الأدب ووظائفه

وعرفته موسوعة ويستورز (Webster's Encyclopedic Unabridged of the English Language, 1994, 836-837) بأنه الكتابة بتعبيرات وصيغ خاصة ، تعرض مجموعة من الأفكار ، وللأدب مجموعة من الأشكال منها : الشعر ، والرومانسية ، والتاريخ ، والسير ، والمقالات .

والأدب هو مجموع النظريات الأدبية ، وأصول النقد الأدبي ، وتاريخ الأدب ، وتاريخ الأفكار الأدبية ، فهو أوسع من مفهوم النظرية الأدبية ، والنقد الأدبي ، وقد انتشر هذا العلم في أوائل القرن التاسع عشر، وذاع بالذات في ألمانيا وباقي أوروبا الغربية ، وحل محل مفهوم النقد الأدبي المؤلف (علية عزت عياد ، 1994، 94)

وباختصار: فإن الأدب يمثل تلبية طموحات الروح الإنسانية، لا بما هي محكومةً بحتميات القانون وعبوديات الواقع، بل لكونها خروج على هذه العبوديات باتجاه حرية الخلود، إنه بالتالي تعبير مطلب الاستحالة الذي لا يكون... ولكنه يكون! وهذا لا يعني أن الأدب والفن يتجاهلان كلياً العقل المحض، فالروح الإنسانية التي هي مركب انفعالات الكائن بتراجيديا وجوده، تتخلق هي أيضاً في العقل وتقوم به، تماماً كما ينهض هو عليها... غير أن لكل منهما في "حوار الوجود" طريقه المستقلة نسبياً... هنا كما أرى تقع خصوصية الفعالية الأدبية (علي المصري ، 1998، 34)

35

- ❖ وعليه، يمكن استخلاص خمسة مفاهيم أساسية دارت في فلكها كلمة الأدب، وهي كما يأتي :
- ❖ المعنى الحسي أو المباشر للكلمة ، وهو إعداد الطعام للضيفان والدعوة إليه، على اعتبار أن إعداد الطعام خصلة من الخصال العربية ، وهو الكرم .
- ❖ المعنى الخلفي التهذيبي ، ويدخل ضمن هذا المعنى الجانب التعليمي ، حيث يسعى المؤدبون إلى تهذيب الطلاب بالجميل من المنظوم أو المنثور ، أو بهما معاً ، ولا يمكن أن يكتمل نمو الجانب التهذيبي إلا بنوع من التعليم المقصود ، الذي يسعى إلى تحقيق مجموعة من التغيرات السلوكية المرغوبة في المتعلم .
- ❖ النهج أو الطريقة التي تتبعها طائفة معينة من طوائف المجتمع في فن من الفنون، مثل : أدب الكاتب لابن قتيبة ، والمثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، أو الطريقة التي ينبغي أن يتحلى بها الفرد في مواقف معينة أو ما يمكن أن نطلق عليه الآن بلغتنا العصرية الإتكيت مثل : أدب المأكل والمشرب ، وأدب الحديث والاستماع ، وأدب اللبس، و... الخ .